

الأصنام
الحازمة
ومؤلفه
الأصاكنة

لعلامة الجزيرة : الأستاذ حمد الجاسر

تمهيد :

تتنوع الدراسات الجغرافية ، وتتسع وتتطور بتطور الحياة في هذا العالم ، وبمؤثراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية منذ أقدم عصور تدوين تلك الدراسات إلى يومنا هذا .

باستثناء نوع من تلك الدراسات لم يُكْتَسَبَ له أن يعيش سوى بضعة قرون كانَ حياً نامياً في خلال ثلاثة قرون منها ، لم تفقد ذلك النُشُوءَ وإن لم يفقد الحياة .

وهذا النوع من الدراسات هو النوع الإسلامي البحت ، المتعلق بمعرفة المواضع التي تُعَيَّن معرفتها على فهم القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، وما ورد في آثار الصحابة ومن بعدهم مما له صلة بهذا النوع .

لقد ذكر الله سبحانه أمماً أهلكتها ، وسمى مواضع من بلادها كالحِجْر والأحقاف والرُّس والآيكة .

وذكر أمكنة شعائر الحج كالصَّفَا والمروة وعرفات .

وأشار إلى مواقع لها صلة بتاريخ الإسلام : (ولقد نصركم الله يَبْدَرِ وأنتم أَذِلَّةُ) ، (وَيَوْمَ حُتَيْنِ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كُرْتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً) .

ثم جاءت أحاديث المصطفى - عليه الصلاة والسلام - بأسماء مواضع ، كحديث قِيْلَالِ هَجَرَ ، وبتحديد مواقيت الحج والعمرة المكانية ، وأمكنة حدود الحرمين الشريفين .

وهناك مواضع الغزوات النبوية ، ومواقع السرايا وأمكنة الفتوحات الإسلامية في عهد الصحابة فمن بعدهم .

ومن هذا القبيل ما ورد في الشعر الجاهلي وأشعار الإسلاميين ومختصرمي الدولتين من أسماء المواضع ، إذ فتهم النصوص الشرعية متوقف على فهم اللغة العربية وتلك الأشعار هي مادة اللغة ، وفهمها لا يتم إلا بمعرفة تلك المواضع معرفة تامة .

إذ (مالا يتيسر الواجب إلا به فهو واجب) .

ومن هنا اتجه علماء المسلمين أول ما اتجهوا — للدراسات الجغرافية لتحقيق تلك الغاية أولاً — ولإطلاع الإنسان على سعة ملكوت الله وعظيم مخلوقاته ، للعلظة والعبرة .

ولهذا فإن أعظم معجم جغرافي عربي بين أيدينا الآن ، هو « معجم البلدان » ألفه ياقوت على ما ذكر في مقدمته : إن من أول البواعث لجمعه أنه مثل عن حباشة اسم موضع جاء في الحديث النبوي وهو سوق من أسواق العرب فقال : أرى أنه حباشة^(١) بضم الحاء قياساً على أصل هذه اللفظة في اللغة . فانتسرى له رجل من المحدثين وقال : إنما هو حباشة بالفتح وصمم على ذلك قال : فأردت أنطلع الاحتجاج بالنقل ، إذ لا لا معقول في مثل هذا على اشتقاق ولا عقل . ثم ذكر أنه ظفر بما يؤيد قوله بعد زمن ، ورأى انتشار العالم إلى كتاب في هذا الشأن ، فألف « معجم البلدان » .

ثم يلي « معجم البلدان » في القدر — فيما وصل إلينا من المؤلفات في هذا الشأن « معجم ما استعجم » لأبي عبيد البكري الأندلسي ، فقد قال

في مقدمته : (هذا كتاب ذكرت فيه - إن شاء الله - جملة ما ورد في الحديث والأخبار والتواريخ والأشعار من المنازل والديار) إلى آخر ما ذكر . فقد بدأ بالحديث كما ترى وجاء صاحبنا الإمام الحازمي فقال في مقدمة كتابه الذي خصصنا له هذا الحديث ^(٢) (وبعد : فهذا كتاب أذكر فيه ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة المنسوب إليها فخر من الرواة ، والمواضع المذكورة في مغازي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسراياه وقطائعه . ومغازي أصحابه والولاة بعدهم . مرتباً على حروف المعجم ، وربما أشير إلى ذكر بعض البقاع الماثورة في أيام العرب ووقائعها من غير استقصاء لذلك وأسباب ليعرّو به عن غرض التحديثي وإنما أذكر منها ما له مدخل في الأخبار أو اتصال بالأمكنة الماثورة في الحديث ، ليكون أبعد من الخط . وأقرب إلى الضبط . مشيراً إلى ذكر استشهاد إما من الشعر وإما من ذكر إمام ينسب إلى الموضع) . انتهى .

وقبل هؤلاء نحا المحدثاني صاحب كتاب « صفة جزيرة العرب » بتأليف كتابه هذا منحي أعم وأشمل . ولكنه لا يخرج عن الموضوع فقال ^(٣) : (ليكون من نظر في هذا الكتاب كأنه مكان ذي القُرَتَيْنِ مَسَاحِ الْأَرْضِ ، وتسيم الدَّارِيَّ جَوَابِ عَامِرِهَا . وخيرَيتَ سامرها ليعرف وسيع أرضِ ربه ، وكثرة خلقه ، وسعة رزقه ، لا إلهَ إلاَّ هو العزيز الحكيم) .

هذا الجانب من الدراسات الجغرافية التي اتجه إليها علماء المسلمين ، فوضعوا أسُسَ بنائها . ورسدوا الطريقَ لمواصلة السير فيها لبلوغ ما قصده من غايات واضحة ، لم يكتب له التَّمَسُّوْ ، كما نما غيره من أنواع العلوم الإسلامية الأخرى .

وهذا يرجع إلى أن جزيرة العرب وهي موطن تلك الدراسات - انعزلت عن العالم منذ انتقال الخلافة الإسلامية منها إلى دمشق ثم إلى بغداد ، فبقيت مهملة من جميع النواحي ، فعادت الحياة فيها إلى طبيعتها قبل الإسلام ، وهي الحياة القَبَلِيَّةُ المعروفة ، وكان من أثرها انتشار الفوضى وعدم استتباب الأمن ، فصعب الاستقرار فيها لمواصلة تلك الدراسات ، وضعفت عناية علمائها وشعرائها بها ، ووجدوا في حواضر الخلافة من الاطمئنان ورغد العيش ما حملهم على الاستقرار فيها .

وليس الأمر كذلك بالنسبة لِقُطْرَيِ الحجاز واليَمَن ، فالحج - وهو أحد أركان الإسلام - من مستلزماته إرساء قواعد الأمن لبلوغ المدينتين الكريمتين ، ولهذا عنت الدولة بذلك ، فكانت الحياة في الحجاز على جانب من الأمن والاستقرار ، وكان علماء الأقطار الإسلامية يتخفون من الحج وسيلة للاتصال بعلماء الحرمين الشريفين ، للاستزادة من علمهم ، لصلتهم بمشاعر الحج ، ولعرفتهم بالآثار النبوية في المدينة الطاهرة ، فكانت هذه الآثار مما هو في المدينة أو بقربها موضع عناية أولئك العلماء في مختلف العصور .

أما اليَمَنُ فهو بلاد حضارة وعلم وحكم على جانب من الاستقرار ولهذا ازدهرت فيه المعرفة ، في الوقت الذي كان الجهل مُحْتَبِئاً على أقطار الجزيرة الأخرى .

والآن - بعد أن وهب الله بلادنا من الأمن والاستقرار والرخاء ما تغبطنا به كل أمم العالم بدون استثناء ، وبعد أن تعددت (الجامعات) وتنوعت الدراسة بتنوع (الكليات) . ألا يحق لكل معني بالدراسات الجغرافية التوجه برجاه إلى هذه الكلية في هذه الجامعة الإسلامية بأن

تخصص فرعاً من فروعها للدراسات الجغرافية الإسلامية وحدها ، إذ هذا الفرع من الدراسات مما يجب على علماء المسلمين أن يولوه حقه من العناية ؟ !

وقل لي بربك : كيف أستطيع أن أنهم ما قصَّ الله في القرآن الكريم من أخبار عاد وثمود وأصحاب مدائن وأنا عندما أتناول أقرب ما لديّ من المراجع وأحدّثها أجيدُ فيه من الاضطراب في تحديد مواقع تلك الأمم ما يكون سبباً لضعاف الفهم والمعرفة في الشك في تلك الأمم نفسها - والعباد بالله - مع أن هذا المرجع قد أثير من قبل (مجلس أعلى للشئون الإسلامية) بعد دراسة بلان من (جبهة العلماء وفطاحل الباحثين والمفكرين) لترجم إلى اللغات الأخرى^(١) .

حقاً إنَّ القرآن الكريم قصَّ أنباء تلك الأمم للعبرة وهي تحصل بدون معرفة المواضع أو الأوقات ، ولكن أليس من الواجب صيانة كل ما له صلة بالقرآن الكريم من وسائل التشكيك التي تثير الظنون السيئة ؟ !

ولتناول أحد كتب سيرة المصطفى - عليه الصلاة والسلام - أو أحد كتب الحديث^(٢) - لنعرف مواقع الغزوات أو السرايا التي حدثت بعيداً عن المدينة إننا سنُصدم - أول ما نصدم - بالاختلاف في ضبط اسم الموضع الذي وقعت فيه الغزوة أو السرية ، فضلاً عن تحديد الموقع تحديداً يُسكّن من معرفته بسهولة .

وهذا لا يراد به التقليل من قيمة تلك المؤلفات ، أو الانتقاص من قدر مؤلفيها ، فمؤلفوها من العلماء قاموا بواجبهم خير قيام وأخلصوا في علمهم ، وبذلوا جهدهم ، فاستحقوا من الله الثواب والأجر ، ومن كل مسلم الدعاء والشكر .

وقد بقي واجب علمائنا في هذا العصر . للسير على نهج سلفهم
الصالح ، ومواصلة ما بدأوا به من العمل النافع .
ولنتعرض جوانب من حياة إمام من أئمة الحديث ، ممن عنا بهذه
الناحية من الدراسات الجغرافية .

الحازمي : ترجمته ومؤلفاته :

لقد كان من أثر عناية علماء المسلمين بالسنة النبوية الكريمة ، أن
تصدى كثير منهم للتأليف في علوم أخرى لها صلة بها ، كاللغة ، والأنساب
ومعرفة الأماكن ، وغيرها من العلوم .

وكان لعلماء أصبهان وهمذان وما يجاورهما من بلاد فارس في
القرون الثلاثة الرابع وما بعده عناية بالحديث النبوي ، تكاد تفوق عناية
غيرهم من علماء الأقطار الإسلامية الأخرى .

ومن علماء همذان - (بالميم المفتوحة والذال المعجمة) - الحافظ
الإمام أبو بكر محمد ابن موسى بن عثمان بن حازم الحازمي ، همذاني .
ولد سنة ٥٤٨ هـ - بقرب همذان . ونشأ بها وتلقى العلم على علمائها ،
ثم انتقل إلى بغداد ، فاستوطنها ورحل إلى الشام والحجاز وفارس ، وغيرها
من البلاد في طلب العلم ، حتى برز فيه ، وبرز أقرانه ، وألف المؤلفات
في علم الحديث .

وصفه تلميذه ابن الدُبَيْشِيِّ في كتابه « ذيل تاريخ بغداد » قائلا : -
صار من أحفظ الناس للحديث وأعرفهم بعلومه ومعرفة الأسانيد والاطلاع
على حال الرواة ، وتمييز الصحيح والسقيم ، وفهم المتن وفقهها ودخولها
في أبواب الأحكام ، وتعلقها بالحلل والحرام ، مع زهد كان يأخذ

به نفسه . وتعبد . ورياضة ، واشتغال بذكر وقراءة . وحسن طلب للعلم ،
ودوام عمل . وقال عنه ابن نقطة البغدادي الخبلي : « كان عالماً فاضلاً
ثقة إماماً . لو مد له من العمر ما عَشَرَهُ أحدٌ من أهل عصره » .

وقال ابن خلكان في ترجمته : « أحد الحفاظ المتقنين وعباد الله
الصالحين . غلب عليه الحديث . وبرع فيه ، واشتهر به ، وصنف فيه
وفي غيره كتباً مفيدة » .

وترجمه ابن العماد الخبلي في « شذرات الذهب » فقال : كان فقيهاً
حافظاً زاهداً . ورعاً ، متقشفاً ، حافظاً للمتون والأسانيد ، غلب عليه
علم الحديث وصنف فيه تصانيفه المشهورة » .

ونقل السبكي في « طبقات الشافعية » أن الحازمي « قدم بغداد عند
بلوغه . فاستوطنها . وثقفه على مذهب الشافعي ، وتميز وفهم ، وصار
من أحفظ الناس للحديث وأسانيده ورجاله ، مع زهد وتعبد . ورياضة
وذكر » .

إن الحازمي — باتفاق المؤرخين الذين ترجموه ، يُعَدُّ من أئمة علماء
الإسلام . ومن حفاظ الحديث النبوي الشريف . ومؤلفاته فيه وفي علومه
تشهد له بطول الباع وسعة الاطلاع .

ولن نطيل بذكر ترجمته . أو الإشارة إلى من ترجمه من المؤرخين ،
فقل أن يَحْدُثُوا مؤلَّفُ أرْخِ حَيَاةِ علماء عصر الحازمي من ترجمته .

وقد توفي ليلة الإثنين الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة أربع
وثمانين وخمسمائة — في بغداد عن ست وثلاثين سنة . ونقل ابن الحداد
عن الأسنوي قوله : « ولا نعلم أحداً ممن ترجمنا له توفي أصغر سناً منه » .
وتقدم قول الحفاظ ابن نقطة : (لو مد له في العمر ما عَشَرَهُ أحدٌ من أهل
عصره) يعني ما بلغوا معشاره .

وقد ألف الخازمي مؤلفات تتصل بالحديث وعلومه ، وصل إلينا أكثرها ، ومنها : -

١ - « الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار » قال عنه ابن العماد الحنبلي^١ : لم يُصنّف في فنه مثله - وقد طبع الكتاب في الهند وفي الشام وفي مصر^(١) .

٢ - شروط الأئمة الخمسة - أي أئمة الحديث - وقد طبع أيضاً .

٣ - « عجالة المبتدي ، وقصالة المنتهي » : في النسب ، قال في مقدمته : (ومن أصول الحديث معرفة الأنساب ، وأهمها معرفة أنساب العرب ، فإنها تنتسب إلى القبائل ، وهي تفانّت ، وطريق إدراك معرفتها النقل ، وأما العجم فإنها لا تكاد تنتسب إلى أب قديم إلا نادراً ، وأكثر انتسابها إلى الأمكنة والصنائع ، أما الأمكنة فأكثرها مشهورة مدركة بالأخبار المتواترة ، غير مفتقرة إلى تجسّم بحث وتكليف سير ، إلا أمكنة يسيرة تحتاج إلى استكشاف إما لبعدها عن حوزة الإسلام ، وإما لحلول ذكرها نحو القرى والجبال والأودية ، وهذه وإن كانت مفتقرة إلى البحث عنها لخفاها فلا تلحق القبائل في غموضها ، فإنها ربما لا تكون مشهورة في غير صفتها ، وهي معروفة في أصفاعها ، وأما القبائل فإنها مفتقرة إلى البحث الثام ، فإن أكثرها أودت ، ومن بقي من نسلها تعم عليه التمييز بين آباءه فضلاً عن آباء غيره لفلة أكثراته بضبط أنسابه ، فرب وجل يزعم أنه عديري ، فلو قيل : من أيّ عديري لا تنصعب عليه علم ذلك ، وأما الصنائع فهي مشهورة شائعة ، لا اشتراكها بين العرب والعجم .

وقد ألفت جماعة من الإخباريين تواليف جمة في هذا العلم وأطنبوا فيها ، وذكروا ما يلزم التحديثي معرفة وما لا يلزمه ، ولو تتبع كتبهم لفات وقته ، والوقت عزيز ، فجاءت في هذا الكتاب - بعد ذكر مقدمة لإبد منها في معرفة اصطلاح النساب - الأنساب المتداوله بين أهل الحديث ، ورتبتها على حروف المعجم ، وربما أذكر من كل قبيلة نسباً متصلاً ، أو رجلاً أو رجلين ، تنبها للمبتدي ، ولم أذكر من الاختلاف والاشتقاق إلا اليسير .

وقد حقق هذا الكتاب الزميل الكريم الأستاذ عبد الله كنون عضو (مجمع اللغة العربية) في القاهرة ، ونشره (المجمع) .

٤ - « كتاب الفیصل » في الأنساب أيضاً ولكن من ناحية أخرى ، قال في مقدمته : (أما بعد : فقد شرحت في كتابي هذا الأنساب المشككة التي تشابه في الخط ، وتتفق في الشكل والنقط ، ويدخلها التحريف ويقع فيها التصحيف ، مما يعرض في الانتساب إلى القبائل كالتبسمي ، والتبسمي الأول ينسب إلى تيسم قريش ، والثاني ينسب إلى تيسم الرباب . والانتفاء إلى الأماكن كالتبيري ، والطبري الأول ينسب إلى طبرستان ، والثاني ينسب إلى طبرية واسط ، والاعتراء إلى الصنائع كالتبراء ، والبراء الأول قيل له أبرأ لأنه كان حاداً ، والثاني قيل له البراء لأنه كان يبري التبل . والاشتهار بالألقاب كالأصم ، والأصم الأول لقب جماعة كان بهم صمم ، والثاني لقب من التصامم . أو كان مركباً من جنين نحو الجسدي ، الأول ينسب إلى القبيلة ، والثاني ينسب إلى المكان إلى غير ذلك . على ما سيأتي تفصيله في أبوابه ، مرتباً على حروف المعجم .

ومن هذا الكتاب مجلد في (دار الكتب الظاهرية) من مخطوطات أول القرن السابع الهجري ، وقد اطلع عليه ياقوت الحموي فكتب في

طهرته : (كتب منه ياقوت الحموي) وقد كتب في بعض حواشيه اعتراضات على المؤلف واستدراكات ، وعن هذه النسخة نقل ما نقل في كتابه « معجم البلدان » من هذا الكتاب .

وذلك المجلد ينتهي أثناء حرف الدال - الداري والداري - الورقة الـ ١٤٧ : وآخره : (وقال أحمد بن الفضل الباطرقاني : عبد الله بن كثير الداري . قاري أهل مكة . الذين تمسكوا بقراءته وقلدوه القراءة ، وكان عطارا . وكان يعظ الناس ويقص . توفي بمكة في أيام هشام بن عبد الملك سنة عشرين ومائة وكان رجلاً فصيحاً . ونسبه ابن حزم إلى الداري : وقال : لأنه كان عطاراً^(٧) . وقال أبو حاتم السجستاني : كان بمكة بعد التابعين عبد الله بن كثير ، من الأبناء ، أبناء فارس بصنعاء ، وهم الذين بعثهم كسرى إلى اليمن ، وكانوا في السفن حين طردوا الحبشة من اليمن . وأقاموا بها . قلت : ويحتمل أن يكون منسوباً إلى الجهتين ، القبيلة وبيع العطر .

وأبو الحسن أحمد موسى بن القاسم بن الصلب بن الحارث بن مالك بن سعد بن . . إلى هنا ينتهي الجزء ناقصاً .

ويقع في ١٤٧ ورقة ٢٩٤ صفحة ، في الصفحة ١٩ سطرًا مكتوباً بقلم النسخي الواضح ، وبعض الحروف مهملة من الأعجام وفي الأوراق الثلاث الأخيرة ترقيع أذهب أطراف السطور ، ورقمه في فهرس الظاهرية (٥٣٠ حديث) .

٥ - « المؤلف والمختلف » تنمة الإكمال لابن ماكولا ، ذكر الحازمي نفسه هذا الكتاب من مؤلفاته في كتابه « الأماكن » الذي سيأتي الحديث عنه فقال في مادة (خوار وحوار) الخ : (أما الأول بضم الخاء وتخفيف الواو

وآخره راء : خوار الرّي ، ناحية منها ، ينسب إليها أبو يحيى زكريا بن مسعود الأشقر الخواريّ ، حدث عن علي بن حرب الموصلي وجماعة ذكرناهم في المؤلف والمختلف) وقال في (طرّق) من كتاب الأماكن : (وأما الثاني بعد الطاء راء ساكنة وآخره قاف : من قرى أصفهان ، قرب نطّرة ، ينسب إليها جماعة من الرواة حدثنا من أهلها نفر ، ذكرناهم في المؤلف والمختلف) .

وقال في (باب بُنَّانٍ وَلُبَّانٍ وَلَنْبَانٍ) من كتاب الأماكن : (أما الأول بضم اللام بعدها باء ساكنة وبين النونين ألف . فجبل بالشام . كان يسكنه الصالحون ، من الجبال المشهورة . وأما الثاني فمثل الأول غير أن النون الأخيرة مكسورة ، تننية لُبَّانٍ : جبلان قرب مكة ^(٨) ، الأعلى والأسفل . وأما الثالث بعد اللام المضمومة نون ساكنة . ثم باء تحنها نقطة قوية كبيرة بأصبعان ، منها أبو الحسن اللباني ، راوية كتب أبي بكر بن أبي الدنيا ، وجماعة سواهم ، ذكرناهم في « تمة الأكمال » في المؤلف والمختلف) .

ويفهم من كلام السبكي — فيما نقله عن ابن النجار — أن المؤلف والمختلف في أسماء البلدان . إلا أن الحازمي نفسه ذكر أنه تمة لكتاب « الأكمال » وكتاب « الأكمال » لا يختص بالبلدان بل يشمل الأعلام المشتبهة والنسبة إلى القبائل ، وإلى المواضع . وإلى غيرها .

وقد ذكر الأستاذ المحقق عبد الله كنون في مقدمة كتاب « عجالة المبتدي » أن من كتاب « المؤلف والمختلف » نسخة مخطوطة في مكتبة (سراسبورج) وأخرى بمكتبة (لالاي) باستنبول .

وأقول : يتبين مما جاء في كتاب « تاريخ الأدب الجغرافي العربي »^(٩)

أن ذلك الكتاب الذي في مكتبة (سراسبورج) يبحث في : (ما اتفق لفظه واختلف مساه في الأمكنة المنسوب إليها ففر من الرواة ، والمواضع التي ذكرت في مغازي رسول الله) . ولهذا هو كتاب « الأماكن » الذي هو في مكتبة (لالاي) وهو غير كتاب المؤتلف الذي هو تمة لكتاب « الأكمال » .

٦ - كتاب « الأماكن » : ستوسع في القول عن هذا الكتاب ، إذ هو موضوع البحث . والحازمي وإن قصد بهذا الكتاب ضبط أسماء المواضع التي لها ذكر في مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم ومغازي أصحابه والولاء بعدهم ، أو الأمكنة التي نسب إليها بعض رواة الحديث ، إلا أنه أورد أسماء مواضع كثيرة في البادية وغيرها لا تدخل تحت ماذكر .

ويظهر أن المؤتلف مات قبل إكمال كتابه هذا وقبل أن يضع له اسماً ، ولهذا اختلفت عناوينه في المخطوطات التي اطلعت عليها فقد ورد في مخطوطتي (نوبنجن) في ألمانيا و (سراسبورج) بعنوان : (كتاب فيه ما اتفق لفظه واختلف مساه من الأمكنة) وقد عولت على أقدم النسخ التي وصلت إلى وهي مخطوطة مكتبة (لاله لي) في (اصطنبول) وتاريخ كتابتها ٦٢٠ ولعلها هي التي اطلع عليها ياقوت ، لاتفاق ما ينقل عن الحازمي بما فيها ، ولو ورد محرفاً .

بين الحازمي ونصر الإسكندري :

لعل أبرزَ عمل الحازمي في كتاب « الأماكن » يتجلى بالضبط اللغوي للأمكنة المشابهة في الخط فهو يقول مثلاً : (كتاب الهزرة باب أبلّة وأبلّة وأئله) : أما الأول بضم الهز والباء المعجمة بوحدة

وتشديد اللام فالبلد المعروف قرب البصرة في جانبها البحريّ وهو أقدم من البصرة ، قال الأصمعي : هو اسم فبطي . وينسب إليه نفر من رواة الحديث منهم شيبان ابن فروخ الأبلبي .

وأما الثاني بفتح الهزّة وسكون الياء المعجمة باثنين من تحتها وتخفيف اللام ، فهي بلدة بحرية أيضاً ، وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام . وينسب إليها جماعة من المتقدمين ، نحو يونس ابن زيد الأبلبيّ وعقيل ابن خالد وغيرهما .

وأما الثالث على وزن ما قبله ، غير بدل الياء ثاءً مثلثة : موضع حجازي من ناحية المدينة ، قال تيس بن الخطيم :

بل ليت أهلي وأهل أثلة في دارٍ قريب من حيث نختلف

وهو يتفق مع كتاب نصر^(١٠) في هذا ، وقد يتفق معه في كثير من الأبواب بحيث يتطابق ما في الكتابين تطابقاً تاماً فكتاب نصر قد أورد ما سقناه عن كتاب الحازمي بهذا النص : (باب أثلة وأيلة والأبلّة :

أما أثلة بفتح الهزّة وثاءً مثلثة ساكنة فموضع حجازي من ديار كنانة فيما أحسب . وأما أيلة مثله ، إلا أنه بياء تحتها نقطتان ، فالبلد المعروف بالشام على ساحل البحر .

قال ابن حقيّيب : أَيْلَةُ شعبة من رَضَوَى ، جبل بنع . وقيل : أيلة آخر الحجاز ، وأول الشام . وأما الأبلّة بضم الهزّة والياء الموحدة ، وتشديد اللام فهي أيلة البصرة ، قال الأصمعي : أصل هذا الاسم بالنبطية وكانت قبل الاسلام .

وقال غيره : الأيلة كانت تسمى بالنبطية بامرأة كانت تسكنها ، يقال

لها (هوب) خمارة فماتت ، فقال قوم من النبط : (ليكا) أي ليست .
فغلطت الفرس فقالوا : (هوب لت) فعربتها العرب فقالوا : الأبله) .
هذا قول نصر ، وذلك قول الحازمي ^(١١) .

وكتاب نصر كان معروفا في عصر الحازمي ، بل قد اختصره شيخ
الحازمي أبو موسى المديني - كما ذكر ياقوت في مقدمة « معجم البلدان » .
ولعل الحازمي اطلع على هذا المختصر أو على كتاب نصر فاتخذة أساساً
لكتابه ، ولكنه أراد أن ينسب الأقوال التي فيه لأصحابها ، ويورد
أدلة شعرية . غير أنه فاتته ذلك في أبواب كثيرة ، وخاصة في آخر الكتاب .
وإذا أردنا أن نقارن بين الكتابين من حيث المادة فإنه يتبين لنا :

- ١ - كتاب نصر يقع في ٣١٠ صفحات في الصفحة ١٥ سطرًا متوسط
كلمات السطر ١٣ كلمة ، وعلى هذا تقارب كلماته ٦٠٠٠٠ كلمة .
- ٢ - أما كتاب الحازمي فيقع من ٣٩٤ صفحة في الصفحة ٢١ سطرًا
في السطر ٨ كلمات فيقارب المجموع ٨٢٠٠٠ كلمة .

وقد تتبع كتاب « الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها »
تأليف نصر الإسكندري لأعرف مصادره ، ولأقارن بين من نقل عنه من
العلماء ، ومن نقل عنه الحازمي فلم أعر في كتابة عصره إلا على أسماء
خمس كتب هي كتاب « الجمل » في مادة (بضاعة) وكتاب « الجمهرة »
لابن دريد في (عيشود) و « كتاب عبد القيس » في (سدير) و « كتاب
محارب ابن خصفة » في (خورم) و « كتاب بني كنانة » في (عنان)
ولا أعرف لمن هذه الكتب الثلاثة .

ورأيت نقل عن ابن قتيبة من « كتاب المشكل » في (رؤوس الشياطين

والجرايقي في (نهر وان) وابن حزم في (كداء) والأصمعي في (البحرين) وابن الأعرابي في (تَيْشَد) وأبو محمد الأسود الغندجاني في (ذو قرد) وأورد هذه المادة في حرف الألف سهوا فيما يظهر .

ومع أنه لم يورد اسم الأصمعي وهؤلاء الذين ذكرتهم سوى مرة واحدة فقد اطلع على كتاب « جزيرة العرب »^(١٢) للأصمعي وأكثر النقل منه ولم يشر إلى ذلك .

كما اطلع على بعض شروح ابن السكيت لأشعار بعض المتقدمين . فأكثر النقل أيضاً ، ولم يذكر ذلك ولم يذكره كما فعل مع غيره من المتقدمين .

ويبدو أن الخازمي يعني بتأحيتين يَهْمَلُها نصرهما ذكر المنسويين إلى المواضع وإيراد الشواهد ، من شعر وغيره .

وناحية ثالثة يمتاز بها كتاب الخازمي هي إيراد نصوص كثيرة عن المتقدمين من شواهد شعرية وأحاديث وأخبار وغيرها منسوبة إلى أصحابها .

وهو ينقل عن أئمة اللغة وعن غيرهم من العلماء المتقدمين فنجدته نقل عن أبي الأشعث الكندي راوي كتاب عَرَّام بن الأصمعي السلمي المسمى « أسماء جبال تهامة » وهو مطبوع .

فقد نقل عن أبي الأشعث قرابة ستين مرة ، صرح باسمه في ٥٣ موضعاً منها . وها هي أسماء المواضع التي نقل فيها من كتاب عوام رواية أبي الأشعث الكندي : آره - أبلى - ثافل - بان - البحر - بقعاء - برثم - حرثة - الجار - الحشا - خيف - ساية - السد - السراة - الشراة

شفينة - شمس - شرع - شوران - الصاري - الصحن - صفينة -
 الصعنية - ظهران - عير - عوال - العيص - الغار - غران - غزال -
 فلاج - القفا - قوران - القيا - قننة الحجر - الفقير - قدس - فرقد
 ذات القرنين - القعر - كلبة - لحف - لقف - مّر - مران - هرشا
 مطار - معوتة - مغار - هكران - التجير - النجل - وبعان - ورقان -
 الهدار - الهدبية - هرمة - ينيع - يكتيل .

ونقل عن الأزهرى صاحب كتاب « التهذيب » ولم يسم الكتاب
 فيما يقرب من ٥٠ موضعا .

ونقل عن السكري في شرح شعر هذيل في ٣٧ موضعا .

وعن ابن حبيب . في ١٤ موضعا وعن أبي عبيدة ، ونص على كتابه
 « مقاتل الفرسان » .

ونقل عن أبي عبيدة أيضاً بواسطة الزبير ابن بكار عن آبار مكة .

نقل عن أبي عبيدة في ٣٨ موضعا .

أما مؤلفو السيرة النبوية فقد صرح الحازمي ، بأنه اطلع على سيرة
 ابن اسحاق بخط أبي الحسن محمد بن العباس بن الفرات ، ووصفه بأنه
 صحيح الخط - محكم الضبط ، نقل عن السيرة هذه في ٢٧ موضعا .

وعن الواقدي صاحب « المغازي » في ٢٠ موضعا .

وعن محمد بن سعد كاتب الواقدي في موضع واحد .

وعن مغازي موسى بن عقبة وقد اطلع عليها بخط أبي نعيم الحافظ

نقل عنها في ٤ مواضع كما نقل عن الزهري محمد بن شهاب في ٥ مواضع ،
أحدها بواسطة موسى بن عقبة .

وعن الزبير بن بكار ، نقل تسعة نقول .

وهو ينقل عن آخرين من علماء اللغة مثل : ثعلب ، والأخفش
والجوهري وابن دريد ، والنضر ابن شميل ، والمبرد ، وأبي أحمد العسكري
كما ينقل عن السيرافي ، وابن الأثير .

وعن المحدثين مثل البخاري ، وابن حزم وابن مندة ، والخطابي ،
والخطيب ، وأبي الفضل بن ناصر ، والدارقطني وغيرهم . وينقل عن شيخه
أبي موسى محمد بن عبد المدين ، الحافظ الأصفهاني المتوفي سنة ٥٨١هـ
وعن غيره ويسمى الكتب والعلماء الذين ينقل من أقوالهم .

ويأتي بشواهد شعرية من شعر هذيل ، ومن شعر كثير وغيره مما
لا يتسع المجال لإبراده .

والحازمي على سعة اطلاعه كثير التحري ، فهو يقول مثلا :

(باب فردة : أما الأول بفتح الفاء وسكون الراء جبل في ديار
طمي يقال له : فردة الشموس .

وماء لجوم في ديار طمي .

قال أبو عبيدة : لما قفل زيد الخيل من عند رسول الله (ص) ومن معه
فتككبوا في أرضهم وأخذوا به على ناحية من طريق طيء حتى انتهوا
إلى فردة ، وهو ماء من مياه جرم فأخلته الحمى فمكث ثلاثا ثم مات
وقال قبل موته :

أَمْطَلَيْعُ صَبَحَ المِشَارِقَ غَدْوَةً وَأَثَرَكَ فِي بَيْتٍ بِفَرْدَةٍ مُنْجِدٍ ؟ !
كَذَا ذَكَرَهُ جَمَاعَةُ أَهْلِ اللُّغَةِ ، وَوَجَدَتْ بِخَطِّ ابْنِ الفَرَاتِ مَقِيداً فِي
غَيْرِ مَوْضِعٍ : قَرْدَةٌ بِالْقَافِ .

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ : ذُو الْقَرْدَةِ مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ ، وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ :
وَسَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ، الَّذِي بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ (ص) فِيهَا حِينَ أَصَابَتْ
عِيرَ قُرَيْشٍ فِيهَا أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ عَلَى الْقَرْدَةِ ، مَاءٌ مِنْ مِيَاهِ نَجْدٍ ،
كَذَا ضَبَطَهُ ابْنُ الفَرَاتِ بِفَتْحِ الْقَاءِ وَكَسْرِ الرَّاءِ .

وَقَالَ غَيْرُ ابْنِ إِسْحَاقَ : هُوَ مَوْضِعٌ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ .

قَالَ مُوسَى بْنُ عَقَبَةَ : وَغَزْوَةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ^(١٢) ، بِثَنِيَةِ الْقَرْدَةِ ، كَذَا
ضَبَطَهُ أَبُو نَعِيمٍ بِالْقَافِ ، وَهَذَا الْبَابُ فِيهِ نَظَرٌ ، وَإِلَى الْآنَ لَمْ يَتَحَقَّقْ لِي
فِيهِ شَيْءٌ .

وَقَتْلُ يَاقُوتَ هَذَا الْكَلَامُ غَيْرُ مَنْدُوبٍ لِلْحَازِمِيِّ .

وَبِالْإِجْمَالِ فَإِنَّ الْحَازِمِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ ، يَتَّفِقُ فِي كِتَابِهِ مَعَ نَصْرِ
اتِّفَاقاً يَكَادُ يَكُونُ حَرْفِيّاً ، مِمَّا يَحْمِلُ عَلَى الْجَزْمِ بِأَنَّهُ أَطْلَعَ عَلَى كِتَابِ نَصْرِ
غَيْرِ أَنْ كِتَابَ الْحَازِمِيِّ يَمْتَنِزُ عَلَى كِتَابِ نَصْرِ بِأَنَّهُ قَسَمًا كَبِيراً مِنَ الْمَوَاضِعِ
أُورِدَ الْحَازِمِيُّ تَحْدِيدَهَا نَقْلاً عَنْ عُلَمَاءَ ذَكَرَ أَسْمَاءَهُمْ وَاسْتَشْهَدَ بِأَشْعَارِ
كَثِيرَةٍ ، وَأَطْلَعَ عَلَى كُتُبٍ كَثِيرَةٍ لَا نَجْدَ لَهَا فِي كِتَابِ نَصْرِ رَحِمَهُ اللَّهُ
ذِكْرًا ^(١٣) .

وَنَعِيدُ الْقَوْلَ بِأَنَّهُ رُبَّمَا أَخَذَ كِتَابَ نَصْرِ فَأَرَادَ أَنْ يَنْسِبَ مَا فِيهِ مِنْ أَقْوَالٍ
إِلَى أَصْحَابِهَا ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتِمَّكَنْ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا فِي مَعْظَمِ الْكِتَابِ لِأَنَّنَا نَجِدُ آخِرَهُ
خَالِياً مِنَ الشَّوَاهِدِ وَمِنْ نِسْبَةِ الْأَقْوَالِ إِلَّا مَا نَصَرُ .

بين الحازمي وياقوت الحموي :

ونجد ياقوتا كعادته في كثير مما ينقل ، ينقل عن الحازمي فيصرح باسمه آونة ويهمل الاسم كثيراً .

وهو في مقدمة كتابه يقول بأنه اطلع على مختصر كتاب لأبي موسى المديني الأصفهاني ، شيخ الحازمي ، ولكنه في أثناء الكتاب يصرح كثيراً بأنه ينقل من كتاب نصر نفسه ، وفي بعض المرات ينقل - ولا يصرح - نصوصاً كثيرة نجدما في كتاب نصر وقد يكون اطلع أولاً على المختصر ، وبعد أن شرع في تأليف « المعجم » وجد أصل كتاب نصر .

وياقوت كثير النقد لكلام الحازمي لما جاء في كتابه « البلدان » وفي كتابه « القبيل » الذي اطلع ياقوت على القطعة الموجودة منه في دار الكتب الظاهرية في دمشق ، كما سبق أن أوضحنا ذلك . أما موقفه من كتاب « الأماكن » فلا يقف عند حد نقد مواضع منه بل يرمى الحازمي بالاختلاس وادعاء ما ليس له . قال في مقدمة « معجم البلدان » وأبو بكر محمد ابن موسى الحازمي له كتاب ما اختلف واختلف من أسمائها ثم وقفني صديقنا الحافظ الإمام أبو عبد الله محمد بن محمود ابن التجار ، جزاء الله خيراً ، على مختصر اختصره الحافظ أبو موسى محمد بن عمر الأصفهاني . من كتاب ألقه أبو الفتح نصر بن عبد الرحمن الاسكتري التحوي ، فيما اختلف ، واختلف من أسماء البقاع ، فوجدته تأليف رجل ضابط قد أنفد في تحصيله عمراً وأحسن فيه عينا وأثراً ، ووجدت الحازمي ، رحمه الله ، قد اختلسه وادعاء ، واستجهل الرواة فرواه ، ولقد كنت عند وقوفي على

كتابه أرفع قدره من علمه ، وأرى أن مرماه يقصر عن سَهْنِهِ . إلى أن كشف الله عن خبيثته ، وتمخض المحض عن زبدته ، فأما أنا فكل ما نقلته من كتاب نصر فقد نسبت إليه وأحلته عليه ، ولم أضع نصيبه ولا أخملت ذكره وتعبه ، والله يثيبه ويرحمه . انتهى .

وقد قسا ياقوت بكلامه هنا على الحازمي ، كما سنشير إلى ذلك .

ومن نقده للحازمي قوله في معجم البلدان : (السرير قال الحازمي : السرير وادي قرب جبل يقال له الغربيف ، فيه عين يقال لها الغربفة ، وهذا خطأ من الحازمي ، فإن اسم الوادي الذي قرب جبل يقال له الغربيف فيه عين يقال لها الغربفة ، السرير أوله أهاء المتناة من فوقها ، ذكر هنا ليحذر ولئلا يظن أننا أخطأنا به وقد ذكر السرير في موضعه) .

وكلام ياقوت هنا حق ولكن ما أكثر ما نقل صحيحاً عنه ولم يشر إلى ذلك .

ولقد استفاد ياقوت من كتاب الحازمي فنقل عنه كثيراً مصرحاً باسمه في مواضع ، وغير مصرح في مواضع أخرى .

وقد صحح بعض أوهامه كما جاء في مادة (زخ) حيث قال ياقوت : (قال محمد بن موسى . (ز خ) بالزاي والهاء بلاد خراسان ينسب إليها الرواة وهذا سهو منه إنما هو (ز خ) بالراء المهملة والهاء المنقوطة) . انتهى .

ويظهر أن النسخة التي اطلع عليها ياقوت هي النسخة الموجودة في مكتبة (لا لاي) في السليمانية في أسطنبول .

والغريب أن ياقوتا رحمه الله ، يدفعه تحامله على الخازمي ، إلى أن يخطئه فيما سبقه إلى القول به نصر الأسكندري ، وفيما قد لا يكون خطأ فيه ، ومن ذلك ما أورده في معجم البلدان من قول . (وذات الفن أكمة على القلب جبل من جبال أجا عند ذى الجليل - واد - كذا قال الخازمي وفيه نظر ، لأن ذا الجليل عند مكة ، وقال أنه أكمة يأجا ، وبين أجا وبينه أيام ولعل أجا غلط وسهر . وأنشد للكميث بن ثعلبة جد الكميث ابن معروف ثم أورد بيتين من الشعر .

وأقول :

- ١ - ما نقده ياقوت هو نص كلام نصر .
 - ٢ - معروف أن الجليل هو النمام ، والأودية التي تنبت الشام كثيرة وما المانع من أن يكون عند أجا واد بهذا الاسم ؟ .
 - ٣ - الاسم الواحد قد يطلق على عدة أمكنة ، وياقوت له كتاب مطبوع معروف في هذا الموضوع هو « المشترك وضعاً المفترق صتعا » .
 - ٤ - ياقوت نفسه ذكر أن الجليل واد بقرب أجا بعد ما ذكر الجليل الذي قال إنه بقرب مكة .
 - ٥ - البيتان لم يورد هما الخازمي ومنطوق عبارة ياقوت تدل على أنه هو الذي أنشدهما .
- ولا أطيل بإيراد شواهد من نقد ياقوت لكتاب « التمييز » وهو وإن لم يخل من تحامل ، ففيه حق . ولا يؤثر هذا في مقام إمام جليل .
- ومن ذا الذي شرّضى سجاياه كلها كفى السرّ نُبلاً أن تعدّ معاييه

- (١) أنظر كتاب « في سرائر غامد وزهران » ص ٢٦ لتذكر قريبهما من أيدة (بيدة) .
- (٢) مخطوطة (ل ل ل ل) الورقة الثانية .
- (٣) صليحة ٥٥ طبع (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .
- (٤) أنظر مجلة « العرب » : ج ٨ ص ٧٥ (سنة ١٣٩٣ هـ) .
- (٥) أنظر غزوة (العثيرة) في « صحيح البخاري » .
- (٦) وقرأته على شيخنا الشيخ أحمد المغربي في الحرم الملكي الشريف سنة ١٣٤٩ هـ .
- (٧) كان المسك يرد إلى بلاد العرب بطريق ميناء (دارين) في جزيرة (تاروت) قرب القطيف فنسب المسك إليها فقليل « الداري » نسبة إلى دارين .
- (٨) لا يزالان معروفين ، يطلان على الشرائع ، في جهة مكة المكرمة وهناك يلتحقون بالأم .
- (٩) ١ / ٣٢٣ .
- (١٠) هو نصر بن عبد الرحمن الفزاري الإسكندري ، أنظر عنه وعن كتابه « العرب » : ٦ : ٦٧٣ .
- (١١) وفات نصر والحازمي (أبله) من أودية حرة عبر المعروفة ، ذكره المجري .
- (١٢) جل نصوص هذا الكتاب في كتاب « بلاد العرب » لفدة الأصهباني من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .
- (١٣) فردة التي يلقبها سرية زيد بن حارثة بالغاء ، والتي مات فيها زيد الخليل وهي الواردة في شعر لبيد ، ولا تزال معروفة - أنظر لتعداد مواقعها كتاب « شمال المملكة » رسم فردة - وهو أحد أقسام « المسح الجغرافي لبلاد العربية السعودية » .
- (١٤) ولكتاب نصر ميزة على كتاب الحازمي فهو في آخر كل حرف من حروف الهجاء يسرد أسماء كثيرة من المواضع المبدئة بذلك الحرف ويحدد مواقعها . وهذا ما لا نجده في كتاب الحازمي .